عولمة الجمال دراسة في انثروبولوجيا الجسد الجامعة المستنصرية انموذجا

م. د أحمد ياسر مطر جبر النصيري
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

ahmed_mutar23@uomustansiriyah.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٦/١

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٦/٢٤

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة عولمة الجمال من منظور أنثروبولوجي، من خلال دراسة التحولات التي طرأت على صورة الجسد ومعايير الجمال في المجتمع العراقي في ظل التأثيرات المتزايدة للعولمة ووسائل الإعلام الرقمية. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن العولمة لم تقتصر على نقل المنتجات الاقتصادية والتكنولوجية، بل امتدت إلى إعادة تشكيل التصورات الثقافية المتعلقة بالجسد والجمال والهوية الفردية.

اعتمد البحث على المدخل المعرفي (الفهم الذاتي) في الأنثروبولوجيا، الذي يركز على دراسة التصورات الذهنية والمعاني التي يمنحها الأفراد للظواهر الاجتماعية والثقافية. كما تناول الجسد بوصفه بناءً ثقافياً ورمزياً يعكس القيم والمعايير الاجتماعية السائدة، وليس مجرد كيان بيولوجي.

كشفت الدراسة أن العولمة أسهمت في إعادة إنتاج معايير جديدة للجمال ترتكز بصورة متزايدة على المظهر الجسدي، وذلك من خلال تأثير وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي وصناعة المشاهير والأزياء والتجميل. وقد أدى ذلك إلى تحولات ملحوظة في تصورات الشباب والنساء والرجال تجاه الجسد، وازدياد الاهتمام بعمليات التجميل والعناية بالمظهر بوصفها أدوات لتحقيق القبول الاجتماعي والتميز الفردي.

وتوصل البحث إلى أن صورة الجمال في المجتمع المدروس أصبحت تتأرجح بين المرجعيات الثقافية التقليدية المستندة إلى الدين والأعراف الاجتماعية، وبين النماذج العالمية التي تروج لها العولمة. كما بينت النتائج أن الجسد تحول إلى مجال رئيس للتفاعل الاجتماعي والرمزي، وإلى وسيلة للتعبير عن المكانة الاجتماعية والهوية الشخصية، الأمر الذي يعكس التغيرات الثقافية العميقة التي يشهدها المجتمع المعاصر في ظل هيمنة الثقافة الاستهلاكية العالمية

الكلمات المفتاحية : عولمة الجمال ، أنثروبولوجيا الجسد، الهوية ، الثقافة ، العولمة

An Anthropological Study of the Body Zayouna City as a Case Study

Dr. Ahmed Yasser Matar

College of Arts/ Al-Mustansiriya University

ahmed_mutar23@uomustansiriyah.edu.iq

Date received: 1/6/2026
Acceptance date: 24/6/2026

Abstract

This study examines the globalization of beauty from an anthropological perspective by exploring the transformations that have occurred in body image and beauty standards within Iraqi society under the growing influence of globalization and digital media. The research is based on the assumption that globalization extends beyond economic and technological exchanges to reshape cultural perceptions related to the body, beauty, and personal identity.

The study adopts the cognitive anthropological approach (self-understanding approach), which focuses on investigating the meanings, perceptions, and cognitive frameworks through which individuals interpret social and cultural phenomena. Within this framework, the body is viewed as a cultural and symbolic construct rather than merely a biological entity.

The findings indicate that globalization has contributed to the production of new beauty standards that increasingly emphasize physical appearance through the influence of mass media, social networking platforms, celebrity culture, fashion industries, and cosmetic practices. These influences have generated significant changes in the perceptions of youth, women, and men regarding the body, leading to a growing concern with body enhancement and aesthetic appearance as means of achieving social acceptance and individual distinction.

The study concludes that beauty ideals in the researched community are shaped by an ongoing tension between traditional cultural references rooted in religion and social customs and globalized models promoted by contemporary media. Furthermore, the body has become a central arena of symbolic and social interaction, serving as a marker of identity and social status, reflecting profound cultural transformations associated with global consumer culture

Keywords: Globalization of Beauty, Anthropology of the Body, Identi, Culture,Globalization)

المقدمة

ان الحديث عن موضوع غاية في الأهمية وهو متربط في سياق عصرنا وأعظم مكانة تعمل على صهر الثقافات في بودقتها لكي تفرض نموذجها الثقافي على المجتمعات فالعولمة وما تقوم به في سياق التحولات الثقافية للمجتمعات الإنسانية بتغير قيم وصور المجتمعات اتجاه الكثير من الأمور الحياتية ومنها موضوعنا وهو الجمال. فلكل مجتمع تصور ورؤى عن الحياة وخاصة كيف ينظر للأشياء والحياة في سياق التفاعلات الاجتماعية والثقافية. الجمال هو موضوع معهم في الحياة وخاصة لدى المجتمعات، وخصوصا إذا ما ارتبط هذا الجمال في الجسد الإنساني. وبما ان الجسد الإنساني كان حاضرا كمادة تفاعل اجتماعية منذ أقدم العصور أولى الانسان اهتمام بالجسد وجعله محط التحريم والتقديس وهو جوهر التطور الحياتي فكان حماية الانسان لنفسه وجسده دفعا للألم هو حافز لإنتاج الثقافة واشباع حاجات الجسد هو حافز للزراعة والصناعة وتنظيم حياته السياسية والثقافية والأخلاقية والدينية. فالجمال والجسد لم ينفكان كمفهومين مترابطين في إعطاء صورة تكامل ولكن المختلف اننا اليوم وبسبب ان العولمة الغربية التي بدأت تحول صورة الجسد وجماليته لسلعة في تمرير نماذج ثقافية. فالعولمة اليوم حولت الجمال الجسدي مرتبط بالرغبات الجنسية وتحويل الذوق بالتركيز على ان الجمال ليس الجوهر بالنسبة للإنسان بالجسد. واتمت العولمة صورة الجمال من خلال عالم الصورة والتحكم في تنميط الصور الذهنية للمجتمعات في اظهار شخصيات ونجوم ومشاهير يكونون محط الهام لأفراد المجتمعات وهي بالتالي تقدم نماذج لكي تكون هي صورة للجمال في ذهنية ومخيلة المجتمعات وبالتالي تعطي وجه جديد للجمال في عالم اليوم وهذا ما سنحاول بحثه.

أولا : الموضوع

يأتي الموضوع في سياق مرحلة مهمة من حياتنا نعيشها في ظل ظاهرة العولمة التي بدأت تعصف بكل مرتكزات المجتمعات الثقافية منها مجتمعنا العراقي وخصوصا ما بعد عام ٢٠٠٣ م. فالانفتاح على العالم ودخول العولمة بقوة بكل ماكيناتها تعرض المجتمع العراقي لتغير في مجمل مرتكزات الثقافة الخاصة به وقيم ومعاني يفسر بها الحياة ومنها الجمال والجسد . فشهدنا تغير كبير في فلسفة الجمال والانهماك بالجسد وخصوصا بعد عام ٢٠١٠ ودخول الالانترنت بيوت الناس و اجهزت الهاتف الذكية . اخذ مفهوم الجمال

والجسد يتداخلان بينهما الصورة في ذهنية الجسد التي بأنا نلاحظ ان الجسد الذي تحرسه منظومة الثقافة المرجعية للمجتمع والتي جوهرها الدين والأعراف والتقاليد.وبفعل العولمة بدأت تتكسر الكثير من التابوهات التي وضعتها الثقافة على الجسد بالنسبة للرجل والمرأة فالتحول في ان يكون الجسد اليوم هو محط الاهتمام ومادة التفاعل الاجتماعي والرمزي هذا هو موضوع مهم للدراسة وكيف ان الجسد يكون الدافع في بناء العلاقات وتفاعلها وما هي صورة الجمال الجسد في ذهنية كل من المرأة والرجل . فكان هذا الموضوع يستحق ان يدرس وكشف عن دور اعولمة في وضع صورة للجمال الجسد خاص يتفاعل بها افراد المجتمع المدروس .

ثانيا: الأهمية

ان أهمية دراسة الجسد وصورة الجمال في ذهنية المجتمع تأتي من أهمية الجسد في ثقافة المجتمع المدروس خصوصا ان المجتمع هو في الغالب مجتمع ديني ومن مختلف الأديان ولكن الدين الإسلامي هو يشكل دين الكتلة الاجتماعية الأكبر . فالدين اعطى للجسد قيم واهمية كبير ما بين التقديس والتحريم والمسموحة والمباح. كذلك ان الثقافة من اعراف وتقاليد دوما ما تعطي الجسد أهمية تصل ان تجعله معيار للحكم على الافراد في انهم مقبولون في ثقافة الجماعة او منبوذين منها . ولكن التغير الذي الثقافة الخاصة بالمجتمع العراقي والتي القت بظلالها على جمال الجسد او صورة الجسد. في كسر بعض التابوهات والقيود المفروضة على الجسد ونجد الانهماك بالاهتمام بالجسد وجمالياته وخصوصا لدى النساء .فهذه حالة تعتبر مهمة للدراسة فحين يتحول الجسد وصورته الجمالية الى محط تفاعل اجتماعي وثقافية يجعلنا نبحث عن المعيار المحدد لهذه العملية من التحول وكيف تتم لأنها ترتبط بعملية تغير ثقافي وهذا شغل الباحث الانثروبولوجي .

ثالثا : الأهداف

١- الكشف عن مفهوم الجمال في الثقافة الخاصة بمجتمع الدراسة

٢- تبين دور العولمة كعملية ثقافية في ترسيخ صورة الجسد.

٣- الكشف عن صورة الجمال في ذهنية الشباب اليوم.

مفاهيم الدراسة

أولا : العولمة

لغة يعتبر مصطلح: العولمة من المصطلحات الحديثة التي لا وجود لها في قواميس اللغة العربية، نعم، قد يستفيد البعض في تعريفها كتعريف لغوي من بعض الاشتقاقات اللغوية، كما هو عليه مجموعة من الباحثين المعاصرين، ومنهم: الباحث المعاصر عابد الجابري، حيث قاس لفظة العولمة في اللغة العربية على وزن: فوعلة الذي يعني: قولب، أي: تحويل الشيء من وضع إلى وضع آخر، وفق انموذج او قالب محدد، إلا ان صيغة فوعل الصرفية، صيغة خاصة بالنسب، تصاغ منها ألفاظ على وفق توفر ضوابط وشروط معينة. لا نجدها في لفظة: العولمة؛ لذا فهي ا ذات صيغة خاصة ليس لها وجود في المعجم العربي، وأصلها الصحيح لفظة: العالمية، المشتقة من اسم. العالم، الذي هو على وزن: فاعل. وجمع العالم المراد به الخلق، والعوالم، وهو ما أصطلح عليه في لسان العرب . إذن فلفظة: العولمة لفظة مستحدثة مستعربة من المصطلح الإنجليزي الخاص، مثلها مثل غيرها من الألفاظ المستحدثة والمستعربة الأخرى، وتعود لفظة عولمة في أصلها إلى الكلمة الإنجليزية: Global، وإن عبارة tazjclobali (ion) . بحسب ما جاء في قاموس وبستر – تعني: إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً" (الباهلي : ص٢٧)

العولمة اصطلاحا : هي تحويل العالم إلى مكان واحد ، يتسم بدرجات من الاعتماد الحضاري والمجتمعي المتبادل . لكن واقع الحال يمايز بينهما ، كذلك تعنى العولمة : محصلة التوظيف الرأسمالي للنتائج التي أرستها مسارات الصراع الساعي للهيمنة على العالم كما تدل شواهدها وتجلياتها ، تبدو العالمية في الحركات التي زاولت التواصل بين الأمم ، بدءا من الديانتين المسيحية والإسلامية ، مرورا بدعوات في الدرس الفلسفي ، وانتهاء بأفكار لفت حولها في علم الاجتماع ، بما يشى أن الفارق قائم بين العولمة كفعل يقوم على نفي الآخر ، وبين العالمية كتوق إنساني يتغيي تفتح وتشبيع أهداف وتشوفات الجماعة البشرية ، بما يحقق شروط وحدتها (ريبستون ،١٩٩٨،ص٩.)

وهي عملية العولمة هذه التي تشير إلى تمدد التداخل الثقافي العالمي يمكن إدراك أنها تؤدي إلى نشأة كيان عالمي تعريفه أنه : "نطاق من التفاعل والتبادل الثقافي المتواصل.

إنها عملية : تقوم فيها سلسلة من التدفقات الثقافية أولا ، بإفراز تجانس ثقافي وفوضى ثقافية في أن ، وذلك بربط جيوب من الثقافة المتجانسة نسبيا بعد أن كانت منعزلة ، وهو ما يؤدى بدوره إلى إفراز صور أكثر تعقيدا للآخر وإلى إيجاد ردود أفعال داعمة للهوية؛ وثانيا ، بإفراز ثقافات عابرة للقوميات، وهو ما يعد "ثقافات ثالثة أصيلة تتجه إلى ما وراء الحدود القومية (مايك فيذرسن ،٢٠٠٠ ،ص٨ .)

وبرؤية أيديولوجية تحليلية يعرف أحد الباحثين العولمة بأنها: اسم مصطلح للدلالة على حقبة نفوذ تتميز بأدوات لديها قدرة التأثير على العالم، ضمن إطار غلبة واضحة لمعسكر الرأسمالية، الذي يجتاح العالم معتمداً على القاطرات العابرة من مالية وإعلامية وعسكرية... وصولاً إلى الأدوات الأخرى الأكثر شمولاً واستغراقاً، ضمن إطار من مركز إدارة، ومحور فكري، يقوم على أسس من قيم وأهداف، تقوم على محيط من المفاهيم المتعلقة بإدارة هذه الأدوات والمواد، التي تجتاح العالم، وتسيطر على أسواقه وبضائعه ، وفي عملية إيغال أكثر بتعريف العولمة يجد هذا الباحث أن العولمة: اسم شمولي أوسع من الأدوات الاقتصادية، لكن العولمة الاقتصادية تُعد واحدة من شمولية العولمة الأكثر تأثيراً وعمقاً في هذه المنظومة، التي شملت الثقافة والحضارة والعسكر والسياسة بل حتى البيئة والسلوك.. بل أصبح عالم الأزياء والجمال نموذجاً (نصر ،٢٠٢١،ص٢٥.)

ثانيا : الجمال المعجم العربي وجدنا ابن منظور يقول: الحسن ضد القبح ونقيضه وهو

نعت لما حسن)، أما الجمال فهو مصدر الجميل، أي البهاء والحسن، وكأنه . ابن منظور . يرى أن أصل هذه القيمة الجمالية هو الحسن، والجمال فرع ولاحق. فقد عرف الحسن بذاته وعرف الجمال بالحسن.

ومثل ذلك فعل ابن فارس إذ عدّ الحسن ضد القبح ولم يزد) ورأى أنّ الجيم والميم واللام أصلان أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر الحسن) ولكنه خالفه بأن ذهب إلى أن الجمال بوصفه مصدراً هو أصل دلالات مشتقاته اللغوية كلها، وهذا واضح في أصلي معنى. إذا كانت الفلسفة والعلم قد حققت مع أرسطو نقلة نوعية فإنه من الصعوبة بمكان القول إن تعريفه للجمال قد حقق نقلة مماثلة، المراحل المتتالية من التاريخ بمعنى من المعاني، فهو قد حصر إدراك الجمال بحاستي السمع والبصر، ورأى أن الجمال هو انسجام الوحدة في التنوع والاختلاف، الوحدة التي تجمع في داخلها التنوع والاختلاف في وحدة منسجمة (عزت السيد ، ٢٠١٣،ص١٧-١٩.)

وإذا انتقلنا إلى الفلاسفة والباحثين الجماليين فإننا سنجد تنوعاً كبيراً في تعريف الجمال لن نقف عند الجميع فهذا أمر متعذر، ولكننا سنقف عند بعض الجذر. هل يمكن تعريف الجمال؟ تميل نفسي إلى القول بأنه كل ما يستحسنه الذوق، حسا أو وجدانا، فقد يستحسن البصر وردة جميلة، ويستحسن الشم رائحة جميلة،وكذلك قد يستحسن الوجدان قصيدة جميلة أو معنى جميلاً، وتتباين الأذواق في اعتبار شيء ما جميلاً أو سلب صفة الجمال منه، لكن الذوق يتأثر بالبيئة الخارجية وليس نابعا من داخل المرء فقط، فنحن اليوم نستقبح ما استحسناه بالأمس لاعتبارات قد تتعلق بتغير ما نتلقاه من الخارج فيبدل أذواقنا (العصيلي، ٢٠١٩،ص٢.)

تُعتبر كلمة الجمال معقدة وغير محدودة، ويمكن تعريف الجمال بطريقة سطحية على أنّه إرضاء العين عند رؤية شيء ما، ويكمن الجمال حولنا في كلّ شيء، فهو نوع من الفن يوقظ الدهشة والمشاعر وأعمق أحاسيس الإنسانية داخلنا ((https://mawdoo3.com/)

ثالثا :الثقافة١- لغة:

كما تدل في اللغة العربية مفردة الثقافة لغوياً على الفهم والفطنة وسرعة التعلم، و تدل على التهذيب والتقويم والتعديل، إذ جاءت لفظة الثقافة في كتب اللغة مأخوذة من الفعل (ثقف) الشيء ثقفاً وثقوفة: أي حذقهُ، فيقال رجلٌ ثَقِف: أي حاذق الفهم سريع التعلم، و يقال غلام ثقف: أي ذو فطنة وذكاء ثابت المعرفة بما يحتاج اليه، والثقاف عند العرب :هي حديدة تكون مع الأقواس و الرماح يُقوّم بها الشيء الأعوج (ابن منظور ،ص ٣٦٤-٣٦٥.)

٢- اصطلاحا : ان الثقافة في اشتقاقها اللغوي، في اللغات العريقة الثلاث وهي الاغريقية واللاتينية والعربية ، لها دلالات متباينة لم تكن الثقافة موجودة كمقولة ، بل كنعت ، لم تكن اسما بل رسما ، والرسم هو الاثر والاثار متعدد بتعدد الممارسات والبصمات التي تكون سببا في وجودها كالفن والتراجديا والشعر عند الاغريق ولقد لاحظ العالم العربي مالك بن نبي ان الثقافة لم تكن موجدا كمصطلح "كل ما كان في روما واثينا انما هو حضور ثقافة ما ،لا تحديد وتشخيص لواقع اجتماعي او تعريف لفكرة الثقافة وهكذا الامر في دمشق وبغداد . لذلك السبب لا اقصد هنا اسم الثقافة بل رسمها بالمعنى الذي اشار اليه ايضا التهانوي ، على ان الرسم هو جزء من المعرف مقابل الحد .ومن هنا جاء الثقافة بالمعنى الاغريقي لتشير الى الصناعة ، وبالمعنى اللاتيني

الى الزراعة ، وبالمعنى العربي الى الحذاقة . لان الجذور اللغوي تعبر بالفعل عن الحدود (الزين ،٢٠١٧ ص٩)

كما كانت الكلمة الثقافة في جذورها الرئيسية ترجع الكلمة اللاتينية(CULTURA) ،التي تدل على عملية التهذيب والاعتناء والرعاية ،وتتضمن معنى النمو والتطوير يتضح هذا في استخدام البستني المبكر حيث كانت تدل على كل عملية الاعتناء بالنبات والحيوان (طوني لبينت، ٢٠١٠ ، ص٢٢٧.). ان مفهوم الثقافة لدى كل من الانثروبولوجيين وعلماء الاجتماع اصبح ينظر اليه بوصفه حجر اساس للعلوم الاجتماعية (ادم كوبر، ٢٠٠٨، ص١٢.) إذ تعد الثقافة عاملا هاما في تصنيف المجتمعات والامم وتميز بعضها عن بعض وذلك بالنظر لما تحمله مضمونات الثقافة من خصائص ودلالات ذات ابعاد فردية واجتماعية وإنسانية أيضا (الشماس: ٢٠٠٤، ص٧٥.)

طبعا ان تحديد مفهوم الثقافة هو امر ليس باليسير وهكذا تزخر الكثير من المؤلفات بالعشرات من التعريفات لهذا المفهوم ولعل من اقدم هذه التعريفات واكثرها ذيوعا حتى الان لقيمته التاريخية تعريف " العالم ادوارد تايلور" الذي قدمه في اواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن (الثقافة البدائية) والذي يذهب فيه الى ان الثقافة :كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون الاخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الامكانيات او العادات التي يكتسبها الانسان باعتباره عضوا في المجتمع (مجموعة من الكتاب ،١٩٩٧ ،ص٩ .)أما اشهر التعريفات لمفهوم الثقافة التي جاء بها كبار علماء الانثروبولوجيا بعد تايلور فهي كما يلي: (هولتكرانس: ١٩٧٣، ص ١٤٥-١٤٦.)

-كيسنجKeesing : يعرف الثقافة على انها مجموع السلوك المكتسب الذي يكون تناقله اجتماعياً.

-سابير Sapir:يعرف الثقافة على انها تشمل كل العناصر الموروثة اجتماعياً في حياة الانسان المادية و الروحية.

-مالينوفسكي Malinowski: يرى ان الثقافة هي الميراث الاجتماعي الذي يشتمل على العناصر المادية و الموروثة و السلع و العمليات التقنية و الافكار و العادات الفردية و القيم (سليم، ١٩٨١، ص ٢٠٣.)

رابعا : الجسد

لغة: جَسَد

[مفرد]: ج أجساد: جِسْم، جُثَّة بلا روح "في جسده صلابة- نحيف الجَسَد- {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا} " ، أخلاط الجسد :الدم والبلغم والصفراء والسوداء، جسدًا وروحًا :بكامل قواه

جسَّدَ

يجسِّد، تجسيدًا، فهو مُجسِّد، والمفعول مُجسَّد ، جسَّد الأمرَ :مَثَّله، أبرزه في قالب أو شكل محسوسٍ ملموس "جسَّد مبادئَ الإسلام في حياته اليوميّة "، صوت مُجسَّد :مرقوم على نغمات وألحان، قائم على نغمات مطربة .، جسَّد الأديبُ أفكارَه وعواطفَه :عبَّر عنها تعبيرًا حيًّا في صور وتشبيهات محسوسة "جسَّدت الرِّوايةُ الصِّراعَ بين الحقّ والباطل ((https://www.arabdict.com/)

الجسد اصطلاحا : والجسد هو مفهوم خاص للشخص، هو ذاك الذي يجعل العالم الاجتماعي يقول: «جسدي» هو مثل «الملكية». لقد ولد هذا التصور من إنبثاق الفردية ونموها في المجتمعات الغربية ابتداء من عصر النهضة. وهذا ما سنراه في الفصول القادمة. إن الأسئلة التي سنتطرق لها في هذا الكتاب تتضمن هذه البنية الفردية التي تجعل من الجسد الشخص، ومكان حده وحريته، سور والموضوع المميز لصياغة التحكم وإرادته (براتون، ١٩٩٧،ص١٢.)

ليس الجسد، من الناحية الرموزية، كتلة مصنوعة من مادة واحدة. هو مجموعة من التصنيفات المتنوعة المعاني والدلائل- هو لغة قائمة بحد ذاتها. فالشعر والدم والأظافر والأصابع ليست، رموزيا، مادة جامدة لا تعرب. معانيها الظاهرة والباطن كثيرة توازي بكثرتها الألفاظ المشتقة، وقد تفوقها تعقيداً. هذه المعاني ترتبط بموضع حدوثها، وتتنوع بتنوع المحيط الذي توجد فيه. خذ، على سبيل المثال، الشعر وتعدد معانيه ومدلولاته في الحضارة العربية. أقول " في الحضارة العربية "لأن معاني الشعر تختلف من حضارة إلى أخرى (الخوري ،١٩٩٧،ص٤.)

كما عبر عنه الفلاسفة وبعض علماء النفس : هو جسم ذاتي يشعر به صاحبه شعورا ذاتيا مباشرا (بيدوح ، ص٦.)

المنهج المعتمد في دراسة الباحث

منهج الفهم الذاتي والتحليل المعرفي Cognitive Method:

يتميز الاتجاه المعرفي بتعارضه الواضح مع الاساليب التقليدية في البحث، فهو يوجه الاهتمام الى الانسان في تفكيره اكثر من الاهتمام في سلوكه، او بمعنى اخر يعتبر تفكيره المدخل الضروري لفهم هذا السلوك، وبالتالي تصبح نقطة البدء في الدراسة المعرفية لثقافة ما هي البحث عن التصورات والتصنيفات العقلية التي ينظم افراد هذه الثقافة الظواهر المختلفة المحيطة بهم على اساسها والتي تبدو في التركيبات المميزة للغة التي يتحدثون بها، وقد اطلق اصحاب هذا الاتجاه عليه اسم الاثنوجرافيا الجديدة new ethnography. (الشنواني، ١٩٨٨، ص، ١٢٥.)

ان منهج الفهم الذاتي سواء عند السوسيولوجيين او الانثربولوجيين يحاول التخلص من النظرة الواقعية في معالجة الظواهر الاجتماعية على انها اشياء خارجة عن ذاتية الفرد، ويعتبر المنهج المعرفي (الفهم الذاتي) في الفكر الانثربولوجي اتجاها نظريا جديدا، يرتكز على اكتشاف الطريقة التي ينظم بها الافراد ثقافتهم وطريقتهم في استخدام هذه الثقافة، ويعرف منهج الفهم الذاتي في الفكر الانثربولوجي بالمدخل المعرفي، ويهدف هذا المدخل الى فهم تصورات الفرد عن العالم وكيف تتكون وتنتظم هذه التصورات وكيف يمكن ان تستخدم هذه التصورات. (غامري، ص، ٨٧.)

والمدخل المعرفي لا يكتفي بملاحظة السلوك الظاهري للأفراد، وتتبع العلاقات الظاهرة او الواقعية في المجتمع وإنما يهتم بالبحث عما يتصوره الناس ويفكرون فيه وطريقه تفكيرهم، وأسلوب ادراكهم للأشياء والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير وهذا التصور، فالإنسان من خلال العمليات المعرفية يبنى لنفسه عالما معقولا يصف فيه الاشياء المختلفة المتعددة، وعن طريق فهمنا لكيفية تكوين الافكار او التصورات عن الاشياء وعن الناس وفهمنا للمبادئ التي تحكم تفاعل وتطور ونمو هذه الافكار، فأننا نكون قد خطونا الخطوة الاولى نحو فهم سلوك الانسان داخل عالمه المعرفي المخصوص. (غامري، ص، ٩٣.)

وتهتم العلوم الانسانية بالوقائع Facts، شانها في ذلك شأن العلوم الطبيعية، لكن وقائع العلوم الانسانية تختلف عن وقائع العلوم الطبيعية اختلافا جذريا، فالواقعة بالمعنى المستخدم في العلوم الانسانية ينتجها موجود انساني يصدر عنه احكام اخلاقية وله معايير واهداف ومشاعر وقيم، وليس للواقعة الطبيعة ذلك فوقائع العلوم الطبيعية محسوسة وملموسة لها وجود ماثل امام حواسنا، ووقائع مباشرة تخضع للإدراك الحسي، اما وقائع العلوم الانسانية فهي وقائع غير مباشرة تتمثل في المعاني والمشاعر والأفكار التي ينفذ اليها وراء ما هو حسي نفاذا كيفيا. (يوسف زيدان، ص، ٢٣.)

وأعطى هذا المنهج تصورا جديدا للثقافة باعتبار انها تؤلف بما تحتويه من افكار وأنماط سلوكية خريطة معرفية او إدراكية على حد تعبير جيمس داونز J.Downs في كتابه عن الطبيعة البشرية Human Nature، وقد تبلور هذا المنهج المعرفي منذ اوائل الستينات في مدرستين رئيستين احداهما ظهرت في فرنسا وعرفت بالبنائية Structuralism، والأخرى في الولايات المتحدة وتعرف باسم الاثنوجرافيا الجديدة New Ethnography، وبصفه عامة اهتمت كلتا المدرستين بدراسة الصلة القائمة بين اللغة والثقافة لتدعيم اتجاهها الادراكي او المعرفي في فهم مجتمعات الدراسة (فهيم ، ١٩٨٦، ص، ١٧٣.)

ان ثقافة اي مجتمع تتألف من كل ما ينبغي ان يعرفه الفرد او يعتقده لكي يسلك بطريقه مقبولة لدى الاخرين، وهي اذا عبارة عن نماذج الاشياء والعلاقات كما تبدو في اذهان الافراد وفي اسلوبهم في الادراك الحسي، وإيجاد العلاقات بين الاشياء وتفسيرهم لما يتم ادراكه، ويعمل المدخل المعرفي على ايجاد اساليب التحليل المناسبة للوصول الى هذه النماذج دون اقحام اية تصورات او مقولات غريبة عنها، ومن ثم يصبح معيار الصدق بالنسبة للنتائج التي يصل اليها الباحث مستمدا من واقع الثقافة ذاتها، ومعبرا عن وجهة نظر الافراد المنتمين اليها. (ابراهيم، ١٩٨٨، ص، ١٢٥/١٢٦)

وفكرة الثقافة بوصفها نسق تصوري، ذلك يعني انها نسق من المعرفة او المفاهيم يقابل مجموعة التفسير المادي للثقافة كنسق تكيفي او كمجموعة من عناصر السلوك القابلة للملاحظة، ويولى الانثربولوجيون المعرفيون جل اهتمامهم للوصف الدقيق للحقائق الاثنوجرافية، وخاصة تسجيل كيفية اتصال الافراد والذي يمكن استخدامه

كدليل على ما يعرفونه، فقد افترض فريك Frake على سبيل المثال أن تسجيل عمليات الاتصال قد يمدنا الانساق المعرفية التي يستخدمها الافراد بهدف تنظيم أنشطتهم اليومية.

الجسد من منظور انثروبولوجيا

مقدمة

إن الجسد موضوع ملائم بشكل خاص للتحليل الانتروبولوجي، حتماً الى الأرومة التي تحدد هوية الإنسان. فبدون الجسد الذي يعطيه وجها، لن يكون الإنسان على ما هو عليه، وستكون حياته اختزالاً مستمراً للعالم في جسده، عبر الرمز الذي يجسده. إن وجود الانسان وجود جسدي. والمعالجة الاجتماعية والثقافية التي يعد موضوعاً لها، والصور التي تتكلم عن عمقه المخبأ، والقيم التي تميزه، تحدثنا أيضاً عن الشخص، وعن المتغيرات التي يمر بها تعريفه وأنماط وجوده، من بنية اجتماعية لأخرى. وبما أن الجسد يوجد في قلب العمل الفرد والجماعي، وفي قلب الرمزية الاجتماعية، فإنه يعد محللا له أهمية كبيرة في فهم أفضل للحاضر (دافيد براتون، مصدر سابق ،ص٥.)

وهنا سنحاول ان نبحث عن موضوع غاية بالاهمية هو الصورة الذهنية التي يستوعبها ذهن المبحوثين لمفهوم الجمال في سياق التطور الذي نعيشه والتي القت العولمة اثقالها في مرسى ثقافة المجتمعات التي تلاقي المد الهائل لتلك العملية التي تغرق أي شيء في موج مكاناتها الثقافية والإعلامية والسياسية والاقتصادية والتي تجرف وتذيب كل ما هو ليس صلبا بما فيه الكفاية من قيم وأفكار واعراف وتقاليد ثقافية لم تستطيع ان تقدم ما يمكن للافرادها . وخصوصا ان قيم ومعايير الجمال على مستوى المجتمعات الإنسانية تغيرت بين متبنياتها وبين ما تقوم به العولمة من عملية تنميط لتغيير العاني والمعايير التي ممكن ان نجد تلك المجتمعات وضعتها لمفهوم ومعنى الجمال. هذا الموضوع بدأ يأخذ مسار جديد وخصوصا ما يتعلق في جسد الانسان فالجمال والجسد والعولمة ، مفاهيم مترابطة وخصوصا في مرحلة زمنية محدد ارتبطت بما يعرف بالثورة الجنسية في المجتمعات الغربية في ستينيات القرن الماضي. حيث اخذ الجسد وجه جديد في دائرة الاهتمام وخصوصا وان العولمة تتطور وهي تعمل على تحويل الانسان في سياق قائمة الربح فما كان الا ان يكون الجسد هو مساحة وسلعة ممكن ان تعمل العولمة لطرحة في سياق المضاربات الاقتصادية وبعدها الثقافية وصولا الى السياسية.

ما اسسته تحت بند النزعة الفردية التي بدأت تحث الخطى نحو التمسك بالمادية الحتمية واشباع كل ماهو مادي ، أي ان الكمال والتكامل الذي يصبوا له الانسان هو منصب فقط بالمطالب المادية وان الجسد محط هذا التكامل من خلال تحقيق اقصى مراحل لذة الجسد والمتعة له في الحياة.

لقد انطلق مخيال جديد للجسد في سنوات الستينات. فالإنسان الغربي اكتشف في نفسه جسداً، والخبر شرى في طريقه، واجتذب خطباً وممارسات اكتست هالة وسائل الاعلام. إن الثنائية المعاصرة تعارض بين الإنسان وجسده. والمغامرات الحديثة للانسان وقرينه جعلت من الجسد نوعاً من الأنا الآخر» alter) (ego. فهو مكان مميز للرفاهية (الشكل) ولحسن المظهر (الأشكال ، – building bodg بناء الجسم، التجميل، الغذاء، الخ). ولشهوة الجهد (المارتون، الركض، القارب الشراعي) او للمخاطرة (تسلق الجبال، والمغامرات الخ. إن الهم الحديث للجسد، في وسط وإنسانيتنا الجالسة»، هو محتُ لا تمل للخيال والممارسات، فالجسد، الذي صار «عامل تفرد»، أخذ يضاعف إشارات التميز، ويتباهى على طريقة من يروج لشيء ما .

إن الجسد، في مجتمعاتنا الغربية، هو إذن علامة الفرد، ومكان اختلافه وتمييزه. لكنه في نفس الوقت وبشكل متناقض ظاهرياً، منفصل عنه، غالباً، نتيجة الإرث الثنائي الحديث، على طريقة الكليشه، عن تنسى أن الوضع البشري الذي يثقل دائماً على التميز الغربي. هكذا ؛ تحرر الجسد». إنها صيغة ثنائية، بشكل نموذجي، لأنها يجري جسدي، وأن الإنسان لا يمكن تمييزه عن الجسد الذي يعطيه عمق وحساسية كينونته العالم. إن «تحرر الجسد»، إذا قبلت الصيغة مؤقتاً، أمر نسبي جداً، إذ يمكن في بسهولة إظهار أن المجتمعات الغربية تبقى قائمة على مخو للجسد يترجم من خلال طقوس عديدة منتشرة في مختلف مواقع الحياة اليومية (براتون،ص٧.)

وهنا اخذت الثقافة الغربية تتمظهر في فلسفتها الثقافية وتتعلق بالنموذج الليبرالي المتمسك بالأساس المادي ، الذي يربط كل شيء في سياق الحياة المادية ومع دعمه بفكرة ، الحرية الملكية الى الحرية والتحرر من كل شيء يلزم الانسان او يضعه في حدود الالزامات التي ممكن ان تفرضها منظومة الثقافة المعينة لجماعة مجتمع. فالجسد كان له سهم كبير في كل ثقافة إنسانية . الجسد هو محور تتفاعل به ومنه الثقافات. فكانت قيم الجسد حاضرة في ذهنية المجتمعات وخاضع لأيديولوجيا ثقافية ، يتفاعل الجسد بمجموعة من المحرمات

والمسموح له في أي ثقافة . ولكن هذا الامر اخذ نمط جديد ثقافية سياق العولمة وخصوصا الثقافية التي تلاعبت بهذا المنظومات الثقافية وغيرة قيمة هذا الجسد.

بالاضافة الى ذلك، يمكن أن يكون هناك إطيقا الجمالية. لقد اقترحت منذ عقدين أن ندرس سوسيولوجية التهتك الجماعي orgie (وتعني كلمة orge في الأصل الانفعال المشترك) لأني أظن أننا نعيش حالياً هذه الانفعالات المشتركة كما يبدو ذلك من خلال وحدة الشعور في المجالات الرياضية والموسيقى والاستهلاكية والدينية. «التهتكية» بالمعنى الجمالي هيضياع الذات في الآخر، وهو ما يتعارض مع الانكفاء الى الذات والانكفاء عن العالم. ان «عبادة الجسد» كمذهب تجريبي يؤسس من الآن للجسم الاجتماعي، لأن هناك توترا لجسد الفرد الذي يذوب في الجسد الجماعي، وفي ذلك تكمن لذة المتعة (مؤلف جماعي ، ص١٣٢.)

ليس الجسد، من الناحية الرموزية، كتلة مصنوعة من مادة واحدة. هو مجموعة من التصنيفات المتنوعة المعاني والدلائل– هو لغة قائمة بحد ذاتها، فالشعر والذم والأظافر والأصابع ليست، رموزيا، مادة جامدة لا تعرب. معانيها الظاهرة والباطن كثيرة توازي بكثرتها الألفاظ المشتقة، وقد تفوقها تعقيداً. هذه المعاني ترتبط بموضع حدوثها، وتتنوع بتنوع المحيط الذي توجد فيه. خذ، على سبيل المثال، الشعر وتعدد معانيه ومدلولاته في الحضارة العربية. أقول في الحضارة العربية " لأن معاني الشعر تختلف من حضارة إلى أخرى، كما سنشير إلى ذلك في حينه (الخوري، ص٤.)

فالجسد في كل ثقافة له رمزية خاصة فهو يعتبر قيمة يتحرك في مساحتها الفرد فللجسد واعضائه رمزيات يتمكن من خلاله الانسان للتعبير وإضفاء معاني لتفاصيل الحيات خصوصا في عملية دلالية تسير في سياق العلامات والاشارات.فاليد اليمين مثلا لها قيمة في العديد من الثقافات وترتبط برمزية الخير ، عكسها اليد الشمال التي ترتبط ي جانب الشر او السلبي. وهنا ان الجسد هو مصدر من مصادر التعبير كذلك مصدر للتأويل الثقافي لما له من معاني ممكن ان يكون هو مركز بها . فالجسد هو يدخل في سياق ثقافة المجتمع وخصوصا حينما يكون هو المائز بين الرجل والمرأة وهو الذي يكون معيار يحدد أدوار و وظائفهما في سياق قابليات الجسد ، لكن العولمة عملت في سياق طرح نموذجها الثقافي والتي تطرح المساوات في كل شيء بين الرجل والمرأة خصوصا في سياق الاعمال لكي تدخل المنرأة في سوق العمل وتشارك الرجل في اصعب المهمن

دون مراعات قوامها الجسدي الذي يختلف عن قوام الرجل وقوته البدنية . لهذا فأن الجسد هو مظهر اجتماعي ثقافي يتدخل في طبيعة العلاقات الاجتماعية.

فوكوية نسبة إلى فوكو] ترتبط بإنتاج الأجساد والتحكم فيها. هناك منظرون آخرون تدمج رؤاهم في نظرية ترنر (بما فيهم جوفمان)، لكنهم يستخدمون لتسهيل تحليل ترنر الفوكي لمراقبة الأجساد وهيمنتها. حين يطرح لنا ترنر نظرية في الجسد، يجادل بأن الحكومات لا تتعامل مع القضايا الاقتصادية والسياسية بطريقة مجردة؛ بل تتعامل مع مشاكل الجسد التي يثيرها المجتمع. في المقابل، يعني فرانك بالفعل بوصفه جسديا، ويركز على نحو أكثر مباشرة على أساليب استخدام الجسد والقضايا المتعلقة بالجسد المعاش. نتيجة لذلك، يمكن اعتبار أعماله جزءا من تطوير راديكالي لتحليل جوفمان لترويض الجسد.

من التأثيرات الأربع الأساسية التي شكلت رؤى في الجسد بوصفه مشكلاً اجتماعيا، طورت أنثروبولوجيا ماري دوجلاس (Doglas, ١٩٦٦, ١٩٧٠) مفهوما في الجسد يرى فيه مستقبلاً للدلالات الاجتماعية ورمزا للمجتمع، في كتابها Natural Symbols تجادل دوجلاس بأن الجسد البشري الصورة الأكثر جاهزية للنظام الاجتماعي، وتقترح أفكارا عن الجسد البشري تستجيب بشكل مباشر لأفكار رائجة عن المجتمع ، فضلاً ذلك، تنزع قطاعات بعينها في المجتمع إلى تبني مقاربات للجسد تستجيب لأوضاعها الاجتماعية. مثال ذلك، ينزع الفنانون والأكاديميون الذين يتبنون موقفا نقديا من المجتمع إلى طريقة بعينها في الانغماس في الملذات وإلى القيام «بممارسات عن جنسية تليق بمسؤولياتهم» . على ذلك، فإن الجسد فوق كل ذلك كناية عن المجتمع ككل. هذا يعني أنه في وقت الأزمات الاجتماعية، حين تتعرض حدود وهوية المجتمع للخطر، من المرجح أن يكون هناك انشغال بالحفاظ على الحدود الجسدية القائمة وعلى طهرانية الجسد وكما يلحظ ترنر ، لا تعد أنثروبولوجيا دوجلاس بهذا المعنى المحدد أنثروبولوجيا في الجسد؛ بل أنثروبولوجيا لرمزية المخاطرة، وقد نضيف أنثروبولوجيا المنزلة والطبقية الاجتماعية. إن قلقنا بسبب هذه المخاطر والتباس العلاقات الاجتماعية والبيئات الاجتماعية إنما يعرض في شكل انشغال بالجسد. وفق ذلك، لا غرو في أ أن يصبح الجسد مشروع عدد يتزايد من الناس فيما يشير أولرخ بيك إليه باسم «مجتمعات الخطر». في الحداثة العالية، تعرض النظم الاجتماعية الأفراد، بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية، لعدد متزايد من المخاطر البيئية والتقنية. في مثل هذه الظروف، ثمة نزوع شطر الانشغال بعولمة الجسد (شلنج ،٢٠٠٩، ص١٠٦-١٠٧.)

فالعولمة اليوم وعبر ماكنتها التي تعمل على فرض نماذج ثقافية محدد ترتبط بالمتحكم الأساسي وهي الدول الغربية التي تتحكم بالاقتصاد العالمي والقوة السياسية وفضلا عن ذلك تتحكم في انتاج المعرفة وإنتاج التكنولوجيا والصورة التي تتحكم بها في مخاطبة ذهنية المجتمعات. ولان الجسد اصبح هو محور المادية الليبرالية الرأس مالية التي حولته لان يكون هو العامل الحقيقي الذي ترتبط بها معظم سياسات الدول و المجتمعات فالحاجات هي محط اشباع الجسد وان فلسفة المادية هي منطق الربح وتحقيق اكبر قدر من اشباع الحاجات الإنسانية. وحصر مبدأ اللذة والسعادة فقط في زاوية ما يحقق لذة جسدية. فكان مفهوم الجمال والمتعة تصور خاص في ثقافة العولمة وماكنتها التي أصبحت متحكم بكل تفاصيل المرتبطة بخرائط الذهن البشري والقدرة على تنميط وعي الافراد وحتى اللاوعي بالنسبة لهم. فصورة الجسد تغييرت في ذهنية افراد المجتمعات منها مجتمع الدراسة والذي تبين في كيف تحضر صورة جسد المرأة في ذهنية الرجل وصورة جسد الرجل في ذهنية المرأة ، وصورة جسد المرأة في ذهنية المرأة نفسها ، وكذلك الحال بالنسبة للرجل وهذا ما نلاحظها في ان تغييرات كبيرة حدثت وتحدث الان باستمرار في صورة الجسد في ذهنية المجتمع.

عولمة الجمال وصورة الجسد المصطنع .

لا يخفى على المتتبع ان ما تعرض له المجتمع العراقي ما بعد عام ٢٠٠٣ م، وتغيير النظام السياسي والذي القى بظلاله على عملية تغيير وتحول عاشها المجتمع العراقي خصوصا بعد الانفتاح على الفضاء الخارجي والعالمي ، وفي سياق العولمة فكان العراق دخول مرحلة جديدة في الطبيعة الثقافية ولان المجتمع كان يعيش في حالة عزلة عن مجريات التطور التكنولوجي الحضاري والتواصل الثقافي مع مجتمعات العالم الخرى منتجاته الثقافية والتقنية . وفي خضم فترة طويلة من العزلة وما ان انفتح الباب على مصراعيه وادى الى دخول مختلف المنتجات الثقافية والتكنولوجية ما تحمله معها كنماذج تأثر المجتمع وتفاعل بشكل كبير جدا معها وخصوصا الصورة التي تفاعل معها بشكل عجيبة واصبح الفرد العراقي لا يفارق الشاشة ومنتجاتها. وبما ان الصورة هي تنتج في استوديوهات هوليود الامريكية والتي تستحوذ على الحجم الأكبر من انتاج الصورة عالميا ، واما باقي انتاج الصورة لا ينفك ان يكون المتحكم به أيضا شركات ترتبط بالدول والشخصيات الغربية والتي تستخدمها في فرض نموذج ثقافي وحضاري محدد على المتلقيين.

اذن عملية الانفتاح تلك كان لها الأثر البالغ في تغيير كل شيئ بالنسبة للمجتمع ، ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا الخ. وبدأت التغيير من منطلق يمكن ان نحلله في سياق مرتكزات الثقافة كما عبر كريت هوفستد".

ومن هنا لابد ان نتعرف على اهم مرتكزات الثقافة التي تستند عليها حتى تكون محور فعلا لحياة الانسان والمجتمعات، " **فالمفكر كريت هوفستد** *يقول فأن رغم الاختلاف بين الثقافات او الاختلافات الثقافية لكنها تعلن الثقافة عن نفسها من خلال التعابير المستخدمة لوصف الاعلان عن الثقافة ، فأن النواحي الاربعة التالية وهي تغطي المفهوم الكلي بصورة متقنة حيث مكونات الثقافة تظهر كما قشرة البصل حيث الرموز هي الاكثر سطحية بينما القيم هي الاكثر عمقا في الاعلان عن الثقافة بينما الابطال والرموز في الوسط.

اولا – الرموز: هي كلمات ، تلميحات ، صور او اشياء تحمل معنى معين والذي تميزه فقط من قبل هؤلاء الذين يتشاركون بالثقافة .الكلمات في اللغة او المصطلحات الغريبة تنتمي لهذه المجموعة مثل الثياب تسريحة الشعر الكل الاعلام ، وكذلك وضع الرموز الجديدة يسهل انشائها والقديمة تختفي: او الرموز من مجموعة ثقافية يتم استنساخها بصورة منتظمة من قبل مجموعة اخرى لهذا السبب فأن الرموز يتم وضعها في الطبقة الخارجية والاكثر سطحية.

ثانيا – الابطال : هم اشخاص سوآءا احياء ام اموات حقيقين ام خياليين الذين يملكون خصائص تثمينها بأعلى ما يكون في الثقافة التي تنفع كنماذج للتصرفات . حتى الشخصيات الكارتونية والمخترعة مثل (باتمان الرجل الوطواط) مثل (سنوبي في امريكا) او(النحل المتلعثم في هولاندا) حتى هذه الشخصيات يمكن ان تنفع كأبطال في الثقافة. وفي عهد التلفزيون فأن المظاهر الخارجية اصبحت اكثر اهمية عند اختيار الابطال في الثقافة اكثر من ذي قبل .

ثالثا – الطقوس: هي فعاليات جمعية ، تقنيا هي غير ضرورية للوصول الى الاهداف المنشودة، ولكن من خلال ثقافة معينة تعتبر مهمة اجتماعيا لذلك يتم تطبيقها لذاتها .حيث ان طرق التحية واظهار الاحترام للآخرين والمراسيم الاجتماعية والدينية هي امثلة على ذلك.

رابعا – القيم : هي ميول عريضة لتفضيل حالات معينة من الشؤون على اخرى .والقيم هي مشاعر وهناك مؤشرات لها في جوانب من الزوائد والنقصان ((Hofstede, G, (1994)

اذن هنا يتضح لنا وخصوصا من مفكر وعالم مثل (كريت هوفستد) الذي بذل جهدا كبير وعلى مدار سنين وتجول في اغلب بلدان العالم وبدعم من منظمة الأمم المتحدة، ليخرج بنتائج مهمة في بيان ان كل ثقافة في هذا الكون لاي جماعة لها هذه المرتكزات. والمهم بالنسبة لنا في سياق بحثنا هو مرتكز الشخصيات الملهمة الابطال وان لكل ثقافة هناك شخصيات ملهمة تعتبر مغذي ثقافي لهذا المجتمع او الجماعة وسواء كانت حاضرا معهم ام هي من عمق التاريخ.

ومن هنا فالعملية جرت عبر مراحل من التغيير فلم تستهدف مباشرة منظومة القيم وهي لب الثقافة بل بدأ بالرموز تغييرات بالشكل والمظهر والتفاعلات الشكلانية والمباشرة ، ومن ثم كان لتغيير مفهوم وشخصية الملهم واستبداله بنجم الشاشة الذي يكون هو الملهم والذي استخدمته العولمة خلال صناعة النجوم كعملية اقتصادية الذين اصبحوا هم الملهمين من شخصيات فنية ورياضية وإعلامية ومشاهير الوسائل الاجتماعية . وبعديها اخذت تلك العلمية تأخذ مرحلة جديدة في ان نلاحظ التغيير في الطقوس الحياتية وانماط العيش من التفاعلات بين الافراد وتغيير اهتمامات الافراد في التعامل مع واقع الحياة طرق العيش والمأكل وطراز الحياة التي تذهب ان تكون في سياق نموذج العولمة الغربية ومنها فلسفة الجمال والتجميد التي بدأت ترتبط وتنحصر بالاهتمام بالجسد وكل ما يتعلق به . وما نشاهد التغيير في طريقة النوم باليوم الفرد في مجتمع الدراسة يذهب بالتعامل مع الوقت بالمتعة والاستمتاع والترفيه والسهر ليلا وكذلك طريقة الملبس والازياء التي تأخذ حيز كبير من اهتمامات مجتمع الدراسة الذي يغرق في صيحات الموضة وخصوصا ان الشباب في الجامعة هي مكان لاستعراض الأزياء و جماليات الجسد بين الشباب و البنات. وبعد ذلك نصل لمرحلة العمق الأخير من الثقافة التي تكون محطة القيم ، والتي تعتبر الموجه والمغذي والدافع الذي يجهز الافراد بالافكار واستيعاب الصورة وادراكها وإعطاء معنى لها .

فالجمال والتجميل اليوم في مجتمع الدراسة هو ما تفرضه عملية العولمة التي تعطي التصور العام له حين تتلاعب بخرائط الذهن وتتمكن من الوصول الى تنميط الصورة الذهنية لافراد المجتمع من شباب . فالشباب حينما تواجدنا معهم وخصوصا وان الباحث هو عضو في مجتمع الدراسة منذ اكثر من ١٨ سنة يتواجد في الجامعة وهو على تواصل مباشر وملاحظ بدقة حجم التغير الذي عاشته الجامعة كمكان يكون هو ملتقي للتنوع الثقافي الذي يعيشه مجتمعنا العراقي ككل . وهنا هذا المكان التي يتكتل به اكبر كتلة بشرية حيث ان الشباب

هم الفئة الكثر تفاعلا مع اثار العولمة وماكناتها واكثر تقبلا لكل ثقافة وافدة. فنجد ان الجسد والازياء اخذت تتأثر بشكل تدريجي فالتحول والذوبان في الصورة العولمية للجسد والتي تؤكد للشباب ان الجسد هو حالة فردية وانك لابد ان تتحكم به خارج سياق الالزامات الاجتماعية والصورة النمطية اجتماعية التي يضعها المجتمع للجسد. مثلا بالنسبة للنساء الأزياء تمثل الهوية ثقافية في سياق الثقافة المرجعية ، والتي يكون الدجين والأعراف هي المغذي الثقافي والتي تنمط الجسد في صور التابوهات والمحرمات ، فالحشمة وتغطية كامل الجسد بالازياء هو المطلوب وان يكون زي الرجل في مساحة الأزياء غير الرائجة في عالم النساق وذوقها، كالازياء الضيقة . فنجد التحوزل اهخذ يتغير النساء يتغير طبيعة هذا الأزياء وكسر وتقليل ضغط المحرم من أزياء تغطي كامل الجسم الى ان تغطي الجسم من الرأس الى منتصف القدمين ما يعرف بعرف النساء (زي إسلامي المانتو) ويكون لحد الركبتين، وتمكنت من ان تتقبل الثقافة المرجعية هذا وهي تحاول ان تقاوم هجوم العولمة ، ولكن وبعدها تمكنت العولمة من ان تجبر الثقافة ان توفر تبرير من ان يقلص طول هذا (المانتو) الى ان تتقبل هذا ليكون اليوم الجسد بكامله هو ظاهر بكل جماله امام الجميع. وهذ التحول هو تحول في سياقات ثقافية لازالت تقاوم لتحافظ على صورة الجسد التي وضعها الدين والعرف . لكن ونحن نعيش في علام الصورة والذي أصبحت شاشة الهاتف الذكي لاتغادر كف الفرد والتي تعمل العولمة بكل قوتها في ترسيخ ثقافة الاستهلاك والاستمتاع . والتي يكون الجسد هو سلعة أساسية للاستهلاك . فالجمال ليسة المعرفة واللذة ليست النتاج المعرفي والعلمي والفني وكل ما ممكن ان يكون في سياق النهوض الاجتماعي والثقافي . بل ان الجمال هو الانهماك بتجميل الجسد والتنافس في اظهار الجسد وجذب اكبر عدد من المتابعين وفي الواقع الحقيقي والافتراضي . حتى اخذت التفاعل الاجتماعي بين الافراد يكون مادة التفاعل هو الجسد وخصوصا بين الذكر والانثى .

فأنهماك الفتاة في عملية التجميل والتي تنصب في سياق الاغراء بأظهار أجزاء محدد بالازياء الموضة الضيقة التي تعتمد على اظهار الأجزاء ذات الايماءات الجنسية. وهذا لم يكن مجرد حدث عابر بل هو جزء ثابت لعلمية العولمة التي استخدمة الجسد كصورة ثابتة في كل ما تنتجه الشاشة مع تثبيت الايحاءات الجنسية ، والتي هي تتحكم بمخيلة الشباب بل و حتى الكهول وجزء من الكبار بالسنة . وهنا تبين ان التفاعل بين الافراد هو تفاعل مادته الجسد.

في هذه المرحلة من النقاش، قد يكون من المفيد أن نسرد ثانية العوامل الأساسية التي تضع

أهمية الجسد في سياق نظام التفاعل. أولا: يعزو الأفراد ضمن المجتمع دلالات متماثلة، وغالبا ما يعزون أهمية قصوى لمظهر الجسد وأفعاله المادية، كالتعبيرات والإيماءات، وكما سبق أن ذكرنا، يجادل جوفمان بأننا نمتلك مفردات مشتركة من التعبيرات الجسدية توفر لها وسيلة مشتركة في تصنيف المعلومات الجسدية

العامل الأساسي الثاني الذي يضع أهمية الجسد في سياق نظام التفاعل إنما يتعلق بالجسد كمولد معاني. هكذا يقحم الأفراد في مواجهات تعرض بشكل مستديم معلومات بسبب جسديتهم حتى حين لا يتكلمون، وهكذا تقحم الأجساد المرئية في شبكات اتصال لا تقيم اعتبارا لنوايا الأفراد، وبمقدور هذا أن يمارس تأثيرا لا يستهان به على السلوك . هذا يعني أن ثمة مهنيين، كالمدرسين والدبلوماسيين والمحتالين الواثقين بأنفسهم، تشترط فيهم مهارة ترويض الجسد (شلنج مصدر سابق ،ص١٢٠-١٢١.)

البحث عن الانوثة في الجسد

تسعى المرأة اليوم بصورة جاهدة في البحث عن تحقيق الصورة العولمية للجسد المرتكزة على جماليات الجسد الجنسية فالتوجه نحو مراكز التجميل ومواد التجميل هي تكاد تكون السمة البارزة في تفاعلات المرأة اليوم في مجتمع الدراسة فالانهماك بالتجميل ومحاولة ان تظهر في سياق الصورة النمطية التي تظهرها الشاشة لشخصيات ملهمة تعتبرها المرأة وهنا حينا بحثنا مع عدد من النساء عن هذا الموضوع فوجدنا الإجابات اختلفت في الشكل واتفقت بالمضمون من حيث ان هاجس الجسد الجميل الذي لابد ان تظهر به امام المجتمع لابد ان يكون محط انظار وانجذاب اكبر عدد لكي تفوز على الاخريات من النساء في ميدان المنافسة الجمالية .لحب الظهور فكانت الإجابات تتعلق في – بعضها ذهب الى الإجابة ان اهتماي بجسدي وتجميله هو لاجل انوثتي واني اعتز بها فأني ابرز مناطق الايحاءات الجنسية وتجميلها اذا تتطلب الامر هو ان اظهر انوثتي .

من جانب اخر إجابة بعضهن ان الام متعلق بالخوف على ازواجهن ، خصوصا هعذا المر متعلق بالمتزوجات التي يحاولن ان يتسابقن في اشباع رغبات ازواجهن مكن خلال توفير صورة الجسد التي تظهرها الشاشة والتي قد تدفع الزوج في خوض تجارب زاج اخر من نساء اخريات يبحثا عن جسد يشبع رغباته.

اما إجابة مراكز التجميل التي كنا قد تواجدنا بها وسئلنا بعض الطبيبات المختصات في الجراح التجميلية ، فأوعزت الى ان الغالب من النساء تحاول ان تتمثل في صورة شخصية فنانة او مشهورة ، وكذلك اكدت الطبيب(م،ح) في مركز كوين للتجميل ان النساء تقبل على التجمل نتيجة فقدان الثقة في جمالهن ومحاولة اشباع نفسية لتحقيق الرضا بجسدها .فصورة الجسد التي وصلت حالت التجميل في تلك المراكز الطبية والعيادات الى تجميل حتى المناطق التناسلية التي وصل الحد الى التركيز عليها .فكما شرحت الطبيب ان التجميل ينقسم حسب العمر، فالنساء من عمر ٤٠ الى ٦٠ تسعى لتجميل من خلل عمليات شد الوجه وقص الترهالات التي تصيب الجسد من منطقت البطن والذراعين من الجهة العليا ومنطقة الافخاذ . اما الاعمار من عمر ٢٠ عام الى ٤٠ ، تتركز على مناطق تكبير المؤخرة والصدر ونفخ الشفة ورسم مالمح الوجه والانف وغيرها من ادق التفاصيل . فالتركيز على جماليات الجسد في سياق المساحات الجنسية التي تشبع تلك الحاجة .

ولم يتوقف الحد على المرأة فنجد ان الرجل أيضا اصبح منهمكا في عملية التجميل التي تطال أجزاء من جسده من قبيل مناطق البطن بعمليات الشفط والنحت ، وكذلك زراعة الشعر وتصغير الانف وحقن الوجه بمواد تتمكن من رسم ملامح وجهه. كل هذا يبن ان الجسد اخذ يتفاعل من خلال الصورة الذهنية للجمال التي ينظر لها الرجل في المرأة وكذلك صورة الجمال في ذهنية المرأة للرجل . الامر يبين ان العولمة عملت على تعميق حالة الجسد كمادة في عمليات التفاعل الاجتماعي والثقافي التي ترتبط في حالة اشباع الرغبة وليست الحاجة . والفرق بين الرغبة والحاجة ان الحاجة تأتي في سياق طبيعي يرتبط بالبعد البايولوجي للإنسان . ولكن زخم الصور الجنسية والايحاءات وتقديم الجسد كسلعة تحاكي حاجة ومع كثافة حضورها في صورة متعدد واشكال مختلفة دفع ان يكون الجسد محط الرغبة في طرح نفسه في سوق الانجذب والتنافس لاشباع وتحقيق الفوز بعدد المنجبين.

وهنا تبين لنا كيف ان العولمة ساهمت في إعادة ترسيخ صورة للجمال غير الصور التي كانت تحددها الثقافة المرجعية للمجتمع المدروس في ان الجمال لا يقترن في الجسد فقط بل يقترن بالروح والتي يعبر عنها امكانيات الفرد في القدرة على التفاعل مع كل من خلال مقومات شخصية وسلوكية واخلاقية .

قائمة المصادر

- الباهلي، رضا عبد الحليم. (د.ت.) *آية الإظهار بين عالمية الإسلام والعولمة المعاصرة* (ط. ١). مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر.
- ريبستون، رونالد. (1998). *العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية*. المجلس الأعلى للثقافة.
- فيذرسن، مايك. (2000). *ثقافة العولمة*. المشروع القومي للعولمة.
- نصر، جعفر نجم. (2021). *أنثروبولوجيا العولمة*. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
- أحمد، عزت السيد. (2013). *الجمال وعلم الجمال*. خدوس وإشراقات للنشر والتوزيع.
- العصيلي، ليلى. (2019). *عولمة الجمال*. مركز الدلائل.
- موضوع. (د.ت.). *موقع موضوع*. مسترجع من https://mawdoo3.com/
- الزين، محمد شوقي. (د.ت.). *كيف نقارب الثقافة من وجهة نظر فلسفية: نحو نقد العقل الثقافي*. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. مسترجع من https://www.mominoun.com/
- لبينت، طوني، غروسبيرغ، لورانس، &موريس، مغان. (2010). *مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع* (ترجمة سعيد الغانمي، ط. ١). مركز دراسات الوحدة العربية.
- كوبر، آدم. (2008). *الثقافة: التفسير الأنثروبولوجي* (ترجمة تراجي فتحي). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الشماس، عيسى. (2004). *مدخل إلى علم الإنسان: الأنثروبولوجيا*. منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- مجموعة من الكتّاب. (1997). *نظرية الثقافة* (ترجمة علي سيد الصاوي). سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢٣.
- هولتكرانس، إيكه. (1973). *قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور* (ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ط. ٢). دار المعارف.
- سليم، شاكر مصطفى. (1981). *قاموس الأنثروبولوجيا* (ط. ١). جامعة الكويت.
- Arabdict. (د.ت). *Arabdict*. مسترجع من https://www.arabdict.com/
- براتون، دافيد. (1997). *أنثروبولوجيا الجسد والحداثة*. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الخوري، فؤاد إسحاق. (1997). *أيديولوجيا الجسد*. دار الساقي.
- بيدوح، سمية. (د.ت.). *فلسفة الجسد*. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- مؤلف جماعي. (د.ت.). *القيم إلى أين؟*. منشورات اليونسكو.
- شلنج، كرس. (2009). *الجسد والنظرية الاجتماعية*. دار العين للنشر.
- Hofstede, G. (1994). *Culture and organizations: Software of the mind*. HarperCollins.